إلى أن يقول :

وأبو الفضل إن ذكرهم الحا ... و بقيٌّ الشفاء للأسقام
صدق الناس في حنين بضرب ... شاب منه مفارق الغمغام

وأبو الفضل هو العباس عم النبي صلى الله عليه و لم ، وقد كانت الشيعة إلى عهد الكميت يدا واحدة إلى أن تفرقوا في عهد العباسيين إلى علويين وعباسيين ، فمادى بعضهم بعضاً بعد أن آل الملك إليهم ، واستأثر به بنو العباس كما استأثر به بنو مروان قبلهم. وقد أخذ بعد هذا كله في الحديث عن نفسه في هذا الأمر الذي أخذها به ، واستسهل صنوف البلاء في سبيله ، فقال :

فيهم كنت للبعيدين عما ... واتهمت القريب أي اتهام
وتناولت من تناول بالغيـ ... ـبة أعراضهم وقل اكتتامي

إلى أن يقول :

ولهت نفسي الطروب إليهم ... ولها حال دون طعم الطعام
ليت شعري هل ثم هل آتينهم ... أم يحولن دون ذاك حمامي

وقد أراد أن ينتقل من ذلك إلى ذكر ناقته ووصفها على عادة الشعراء قبله ، ولكنه يجعل ذلك في ختام قصيدته ولا يبدأ به في أولها كما كانوا يبدؤون به ، فلا يؤثره بهذا على مقصوده الذي ملك عليه مشاعره ، وفي هذا يقول :

إن تشيح بي المذكرة الوجنا ... ء تنسى لثامها بلثام
عنتريس شملة ذات لوث ... هوجل ميلع كتوم البغام

إلى أن يقول في الختام :

ما أبالي إذا حننت إليهم ... نقب الخف واعتراق السنام
بقضيض زور هناك حق منورـ ... ـن ويحيي السلام أهل السلام

وكذلك يسلك الكميت ما يقرب من هذا المسلك في بائيته الأولى ، فقد تخلص من مطلعها إلى ذكر حال نفسه وما يلاقيه في سبيل رأيه فقال :

بني هاشم رهط النبي فإنني ... بهم ولهم أرضى مراراً وأغضب
خفضت لهم مني جناحي مودة ... إلى كنف عطفاه أهل ومرحب
وكنت لهم من هؤلاء وهؤلا ... جنا على أني أذم وأنسب

إلى أن قال :

يعيبوني من خبهم وضلالهم ... على حبكم بل يسخرون وأعجب
ويقولوا ترابي هـواه ورأيه ... بذلك أدعى فيهم وألقب
على ذاك إجراءي وفي ضريبتي ... ولو جمعوا طرا علي وأجلبوا

وأحمل أحقاد الأقارب فيكم ... وينصب لي في الأبعدين فأنصب

ثم أخذ في ذلك الحجاج الذي جمع فيه بين الشعر والعلم ، ولعله هذا كان أول عهد العرب بذلك الأسلوب في الشعر :

بخاتمكم غصباً تجرز أمورهم ... فلم أر غصباً مثله يتغصب
وجدنا لكم في آل حاميم آية ... تأولها منا تقي ومعرب
وفي غيرها آياً وآياً تتابعت ... لكم نصب فيها الذي الشك منصب
بحقكم أمست قريش تقودنا ... وبالفذ منها والرديفين نركب
وقالوا ورثناها أبانا وأمنا ... وما ورثتهم ذاك أم ولا أب
ولكن مواريث ابن آمنة الذي ... به دان شرق لكم ومغرب
يقولون لم يورث ولولا تراثه ... لقد شركت فيه بكيل وأرحب
ولا كانت الأنصار فيها أدلة ... ولا غيباً عنها إذا الناس غيبوا
فإن هي لم تصلح لقوم سواهم ... فإن ذوي القربى أحق وأقرب

إلى أن قال :

فيالك أمراً قد أشنت أموره ... ودنيا أرى أسبابها تتقضب
يروضون دين الحق صعباً مخرماً ... بأفواههم والرائض الدين أصعب
وقد درسوا القرآن وافتلجوابه ... فكلهم راض به متحزب
فمن أين أو أنى وكيف ضلالهم ... هدى والهوى شتى بهم متشعب

ثم أخذ في مدح بني هاشم فقال :

فيا موقداً ناراً لغيرك ضوؤها ... ويا حاطباً في غير حبلك تحطب
ألم ترني من حب آل محمد ... أروح وأغدو خائفاً أترقب
أناس بهم عزت قريش فأصبحوا ... وفيهم خباء المكرمات المطنب
خضمون أشراف لهاميم سادة ... مطاعيم إذا الناس أجدبوا

إلى أن قال :

وقد غادروا فينا مصابيح أنجما ... لنا ثقة أيان نخشى ونرهب
أولئك إن شطت بهم غربة النوى ... أماني نفسي والهوى حيث يسقب

ثم ختم ذلك كله بوصف ناقته كما فعل في ميميته فقال :

فهل تبلغنيهم على بعد دارهم ... نعم ببلاغ الله وجناء ذغلب
مذكرة لا يحمل السوط زهلها ... ولأياً من الاشفاق ما يتعصب

إلى أن قال :

كأن حصى الدهناء بين قروجها ... نوى الرمح ماق المصعد المتصوب
إذا ما قضت من أهل يثرب موعداً
فكم من أوطانها والمحصب

عبد المتعال الصعيدي